

تفسير البحر المحيط

@ 468 ا وقيل : الحصور الهيوب وقال ابن مسعود أيضاً ، وابن عباس أيضاً ، والضحاك ، والمسيب : هو العنين الذي لا ذكر له يتأتى به النكاح ولا ينزل . .
وإيراد الحصور وصفاً في معرض الثناء الجميل إنما يكون عن الفعل المكتسب دون الجيلة في الغالب ، والذي يقتضيه مقام يحيى عليه السلام أنه كان يمنع نفسه من شهوات الدنيا من النساء وغيرهن ، ولعل ترك النساء زهادة فيهن كان شرعهم إذ ذاك . .
قال مجاهد : كان طعام يحيى العشب ، وكان يبكي من خشية ا حتى لو كان القار على عينيه لخرقه ، وكان الدمع اتخذ مجرىً في وجهه . .
قيل : ومن هذا حاله فهو في شغل عن النساء وغيرهن من شهوات الدنيا . .
وقيل : الحصور الذي لا يدخل مع القوم في الميسر . قال الأخطل : % (وشارب مريح بالكأس نادمني % .
لا بالحصور ولا فيها بسآر .
%) .
فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو . .
وقد روي أنه : مر وهو طفل بصبيان فدعوه إلى اللعب ، فقال : ما للعب خلقت . والحصور والحصر كما تم السر قال جرير : % (ولقد تساقطني الوشاة فصادفوا % .
حَصْرًا بِسْرِكْ يَا أُمِيمِ ضُنِينَا .
%) .
وجاء في الحديث عن ابن العاصي ، ما معناه : أن يحيى لم يكن له ما للرجل إلاّ مثل هذا العود ، يشير إلى عويد صغير . وفي رواية أبي هريرة : كان ذكره مثل هذه القذاة ، يشير إلى قذاة من الأرض أخذها . وقد استدل بقوله { وَحَصُورًا } من ذهب إلى أن التبتل لنوافل العبادات أفضل من الاشتغال بالنكاح ، وهو مذهب الجمهور خلافاً لمذهب أبي حنيفة ، فإنه بالعكس . .
{ وَنَدِيًّا } هذا الوصف الأشرف ، وهو أعلى الأوصاف ، فذكر أولاً الوصف الذي تبنى عليه الأوصاف بعده ، وهو : التصديق الذي هو الإيمان ، ثم ذكر السيادة وهي الوصف يفوق به قومه ، ثم ذكر الزهادة وخصوصاً فيما لا يكاد يزهد فيه وذلك النساء ، ثم ذكر الرتبة العليا وهي : رتبة النبوة . وفي هذه الأوصاف تشابه من أوصاف . مريم عليها السلام ، وذلك أن زكريا لما رأى ما اشتملت عليه مريم من الأوصاف الجميلة ، وما خصها ا تعالى به من

الخوارق للعادة ، دعا ربه أن يهب له ذرية طيبة ، فأجابة إلى ذلك ، ووهب له يحيى على وفق . ما طلب ، فالتصديق مشترك بين مريم ويحيى ، وكانت مريم سيدة بني إسرائيل بنص الرسول في حديث فاطمة ، وكان يحيى سيداً ، فاشتركا في هذا الوصف . وكانت مريم عذراء بتولاً لم يمسهها بشر وكان يحيى لا يقرب النساء . وكانت مريم أتاها الملك رسولاً من عند الله وحاورها عن الله بمحاورات حتى زعم قوم أنها كانت نبيه ، وكان يحيى نبياً ، وحقيقة النبوة هو أن يوحى الله إليه ، فقد اشتركا في هذا الوصف . .

{ مِّنَ الصَّالِحِينَ } يحتمل وجهين : أحدهما : أن يكون المعنى من أصلاب الأنبياء ، كما قال : { ذُرِّيَّةً بَعْعَـهُمُهَا مِن بَعْعٍ } ويحتمل أن يكون المعنى : وصالحاً من جملة الصالحين . كما قال تعالى في وصف إبراهيم { وَإِذْ نَادَاهُ فِي الْآخِرَةِ لَمَنِ الصَّالِحِينَ } قال ابن الأنباري : معناه من صالحى الحال عند الله قال الكرمانى : خص الأنبياء بذكر الصلاح لأنه لا يتخلل صلاحهم خلاف ذلك وقال الزجاج : الصالح هو الذي يؤدي ما افترض عليه وإلى الناس حقوقهم . انتهى .